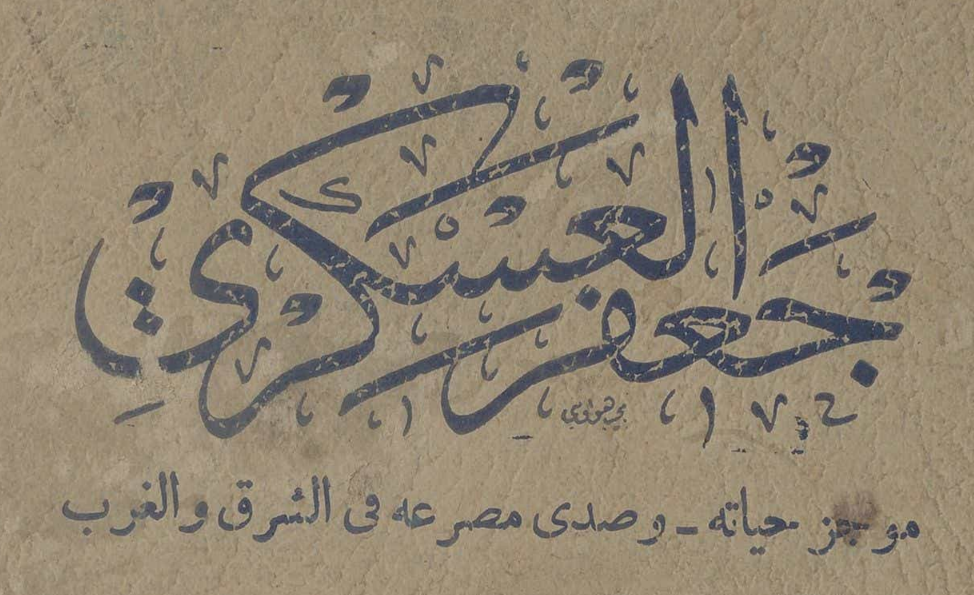


موجز حياته ـ وصدى مصرعه فى الشرق والغرب

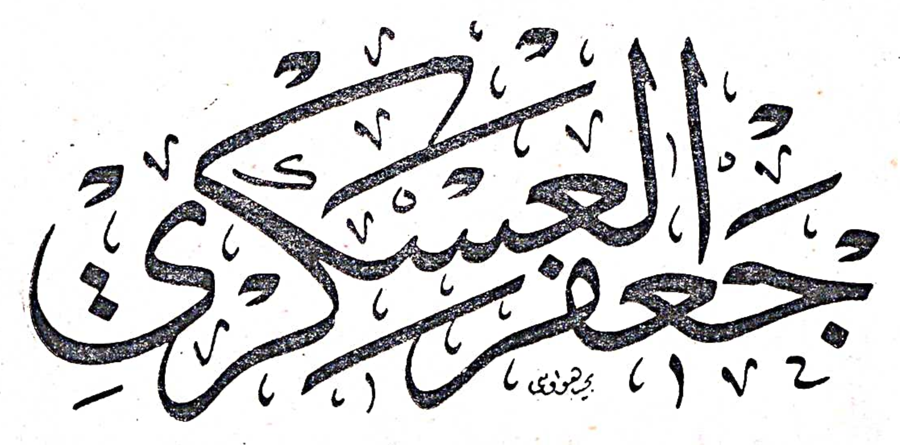
عُنى بجمعها ونشرها

محب الدين الخطيب

القاهرة

١٣٥٥ — ١٩٣٦

المطبعة السلفية



«موجز حياته - وصدى مصرعه فى الشرق والغرب»

عُنى بجمعها ونشرها

محب الدين الخطيب

القاهرة

١٣٥٥ — ١٩٣٦

المطبعة السلفية

مقدمة الناشر

الامة برجالها ، هذه قضية مجمع على صحتها من جميع الأمم التى تتمتع بالسيادة ، وتتبوأ مقاعد العز بين أمثالها . وكلما كانت الامة غنية بعدد رجالها الذين عاركوا الدهر وعاركهم ، واختبروه فازدادت بذلك معارفهم ونمت مداركهم ؛ كان ذلك من سعادة الامة التى ينتمون اليها ، ومن أسباب ارتقائها فى معارج القوة والعظمة ، وتقدمها نحو المطمح الأقصى بخطوات واسعة

وقد يختلف رجال كل أمة فى تعيين الطرق الموصلة الى الهدف المشترك ، وقد يكون لكل منهم اقتناع فى وسائل النهوض وبواعث المجد ، وقد اثبتت التجارب أن هذا الاختلاف فى الواسطة لا فى الغاية من مكملات النهوض وبواعث الفلاح . فالمطلوب فى رجولة الرجال الذين تعتمد عليهم شعوبهم فى نهضتها أن يكونوا مخلصين فيما يطلبونه لها من خير ، وأن يكونوا مؤمنين معها بالغايات التى ترمى اليها فى جهادها القريب والبعيد ، وأن يكونوا من أهل الكفاءة والمقدرة فيما يتحملونه من أعباء وما يضطلعون به من مهمات . أما اختلاف وجهات نظرهم التى ترمى إلى المطمح الواحد

فانها لا تعوق التقدم بل هى حاجة من حاجاته ، لأن الأمة تشعر - عند اختلاف الظروف التى تحيط بها - بالحاجة الى تغيير الاتجاهات ، ومن سعادتها أن يكون الرجال المؤمنون بالاتجاه اللازم لظرف من الظروف متوفرين لديها ومستعدين لأن يكونوا رجال الساعة

ان جعفر العسكرى رحمه الله عاش للعروبة وللعراق من اليوم الذى التحق فيه بجمعية العهد . وبرهن على كفاءته ومرونته وسعة مداركه فى كل المواقف التى كانت له فى خدمة الامة ، فكان من رجالها الافذاذ وأكفائها المحنكين . لذلك كان من حق الوطن على أبنائه ، ومن حق العروبة على رجالها ، أن يعرفوا لهذا الرجل النابغة القدير مكانته ، وأن يعرّفوا الأجيال الآتية بها ، ولا خير فى أمة تقصر فى حقوق رجالها عليها

من أجل ذلك لم أتردّد فى تلبية اقتراح بعض الأصدقاء علىّ بمناسبة ذكرى الاربعين لشهادة الفريق جعفر العسكرى أن أنشر هذه الكراسة عن حياة هذا القائد العربى والسياسى العراقى رحمه الله رحمة واسعة وعوض الامة عن الخسارة الكبيرة التى أصابتها بافتقاده

القاهرة : ٢٥ رمضان ١٣٥٥





جعفر العسكري

نبذة موجزة

عن حياة الفريق جعفر العسكري

بقلم الاستاذ أسعد داغر

كان يوم الخميس ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٦ خاتمة حياة عظيم، حياة وطني كبير وجندي باسل، وسياسي قدير، بل حياة رجل وضع أساس النهضة العربية، وحمل على كتفيه أعباءها، ورفع بساعديه ما نراه ظاهراً الآن من صرحها، هو المغفور له الفريق جعفر بن مصطفى العسكري حفيد عبد الرحمن العسكري.

وهب رحمه الله حياته لوطنه منذ نعومة أظفاره، فما ناداه داعي الوطن مرة إلا لباه، وكان دائماً الأسبق الى تلبية هذا النداء، إلى الحرب والى السلم كما إلى قلوب الناس.

اختصه الله بصفات نادرة، صفات القائد العظيم الذى كانت إرادته القوية تسيطر دائماً على سير المعارك ونتائجها، بما كان يتجلى فيها من الشجاعة ورباطة الجأش واليقظة والسرعة فى اتخاذ القرارات الحاسمة.

وصفات السياسي الكبير الذى كان يدرك الحقائق ويعرف كيف يذلل العقبات التى تقيمها السياسة ومطامعها فى طريق أمانيه الوطنية.

وصفات الادارى الحازم التى كانت تبدو دائماً للعيان فى صحة

تقديره للامور وعواقبها وطرق معالجتها ، وفى مقدرته على اكتساب قلوب الناس على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم ، بصدقه واستقامته واخلاصه .

وصفات الوطنى المتفانى فى حب امته وبلاده وقد تجلت هذه الصفات فى سلسلة طويلة من التضحيات والأعمال الباهرة التى يسجلها له التاريخ بمداد الفخر .

وصفات الرجل الكامل فى أخلاقه واخلاصه وحسن وفائه لأصدقائه ، وتواضعه وطيب سريرته وحسن معشره وبره بالفقراء والمساكين .

وصفات رب الاسرة التى ظهرت بأجمل مظاهرها فى تلك الرعاية الأبوية التى أحاط بها زوجه وأولاده وذوى قرباه ، وبدت آثارها فى الارث العظيم الذى خلفه لهم من الأخلاق الكريمة والمبادىء القويمة والفضائل الفريدة النادرة .

* * *

ولد رحمه الله فى سنة ١٨٨٥ ودخل المدرسة العسكرية التحضيرية فى بغداد ثم انتقل الى الاستانة وتخرج من مدرستها الحربية برتبة ملازم ثان فى المشاة سنة ١٩٠٤ وعاد بعد ذلك الى العراق حيث بقى الى سنة ١٩١٠ . وقد انتخب فى تلك السنة عضواً فى البعثة العسكريه التى أوفدتها تركيا الى ألمانيا للتدرب فيها على الفنون العسكرية الحديثة وأقام فى ألمانيا ثلاث سنوات الى أن أعلنت الحرب البلقانية .ثم عاد الى تركيا واشترك فى تلك الحرب حتى نهايتها ، وقد جرح فى أثناء الدفاع عن أدرنة ضد الجيش البلغارى .

Hamad Khalifa

وظهرت حينئذ رغبة الاتحاديين فى تتريك العناصر العثمانية فانضم رحمه الله الى حزب العهد العربى فى اسطنبول وكان من أكبر العاملين فيه .

وبعد انتهاء الحرب البلقانية عين مديراً لمعهد تدريب الضباط فى حلب حيث ألف فرعا قوياً لحزب العهد .

ولما اعلنت الحرب العظمى عين مرافقاً للاميرال الالمانى (فون سوشن) وكانت القيادة العثمانية العليا قد وضعت خطة للاستيلاء على مصر بمهاجمتها من الشرق والغرب فى وقت واحد . فتولى الفريق جمال باشا قيادة الفيلق الرابع لمهاجمتها من الشرق بطريق قناة السويس وعهد الى الفقيد فى اثارة القبائل الطرابلسية فى ليبيا للاغارة عليها من الغرب بطريق السلّوم .

وتمهيداً لتنفيذ هذه الخطة سافر الفقيد بالغواصة من الدردنيل الى برقة الواقعة على ساحل ليبيا فبدل زيه ، ونزل الى البر ، فاجتمع بالسيد أحمد السنوسى واتفق معه على التدابير التى يجب اتخاذها ، ثم دخل مصر متخفيا وتجول فى بعض انحائها ولا سيما على الحدود لدرس الحالة فيها وعاد بعد ذلك الى تركيا .

ولما قررت القيادة العليا الشروع بالحركات العسكرية حول مصر عينت الفقيد قائداً عاماً فى جبهة برقة بعد أن منحته لقب باشا وأمرته بالسفر إلى مقر وظيفته ، فسافر الى بيروت حيث اجتمع بجمال باشا للاتفاق على توحيد الخطة ثم استقل منها سفينة شراعية قاصداً إلى سواحل برقة خلسة عن أساطيل الحلفاء . وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩١٥ ، وقد صحبه فى هذه السفينة عدد من الضباط الذين

اختارهم لمعاونته ، ونقل معه فيها مائتى ألف جنيه ذهب وكثيرا من المدافع والأسلحة والذخائر .

وقد استغرقت هـذه الرحلة ثلاثة أسابيع واجهت السفينة فى خلالها جميع المخاطر واستطاعت فى النهاية أن تنفذ من بين الأساطيل بمهارة فائقة .

ووصلت السفينة الى مقربة من السلّوم فى الليل كما خرجت من بيروت فى الليل أيضاً ، فأسرعت فى تفريغ ما كانت تقله من الأسلحة والذخائر قبل طلوع الفجر لـكى لا تفاجئها الأساطيل البريطانية والايطالية التى كانت قائمة حينئذ على حراسة الشواطىء .

وما كاد يتم هذا العمل وتبتعد السفينة قليلا عن الشاطىء حتى أوقفها الاسطول البريطـانى وأسر ربانها وبحارتها وجاء بهم إلى الاسكندرية حيث ظلوا أسرى الى ما بعد الهدنة .

وتولى الفقيد تنظيم القوات النظامية والقبائل الطرابلسية التابعة للسيد أحمد الشريف السنوسى ثم جعل يهاجم القوات البريطانية على حدود مصر .

وكان من المتفق عليه بينه وبين جمال باشا أن يقع الهجوم على مصر من الشرق والغرب فى وقت واحد .

ولـكن جمال باشا لم يتقيد بهذا الاتفاق لاعتقاده على ما يظهر ، بانه يستطيع أن ينال وحده هذا الفخر ، فلم يشأ أن يشاركه أحدٌ فيه بل استعجل الهجوم قبل أن يكمل جعفر باشـا استعداداته ، فكانت النتيجة ما يعرفه الناس من الفشل المريع الذى منيت به الجيوش العثمانية على قناة السويس .

اما جعفر باشا فلم يثبط هذا الفشل همته بل أسرع إلى اجتياز الحدود المصرية بالقوات التى استطاع تجهيزها وواصل زحفه فى طريق الاسكندرية إلى أن وصل الى مرسى (مطروح) .

وأدركت القيادة البريطانية عظم الخطر التى يهدد عاصمة مصر الثانية فسحبت قوات كبيرة من جهة قناة السويس بعد أن هزمت قوّات جمال باشا فيها وجرّدتها على جعفر باشا فى جبهة مرسى (مطروح) حيث هاجمته من البر والبحر .

واشتبك الجيشان بالسلاح الأبيض بعد قتال شديد . وكان الفقيد كعادته حين الشدة فى مقدمة الجيش فجرح بطعنة سيف ثم اسر وجىء به إلى القاهرة حيث اعتقل فى القلعة ثم فى المعادى .

* * *

وفى تلك الأثناء قام الشريف حسين بالثورة العربية فى الحجاز بعد مفاوضات دارت بينه وبين زعماء العرب وضباطهم من جهة وبين الانكليز من جهة أخرى . وقد حصل من الانكليز على وعود وعهود ظنها كافية لتأمين استقلال العرب ووحدتهم . فما كادت الحركات العسكرية تبدأ فى الحجاز حتى أسرع الضباط العرب من كل مكان للاشتراك فيها ، وكان الفقيد فى مقدمتهم ، فعين قائداً عاما للجيش الشمالى بصحبة الأمير فيصل ، وباشر الزحف شمالا بعد الاستيلاء على العقبة التى جعلت قاعدة حربية . وقد قاد رحمه الله الجيش العربى فى جميع المعارك التى نشبت مع الترك وحلفائهم منذ سقوط العقبة إلى احتلال دمشق وحلب وعقد الهدنة . وكانت هذه المعارك سلسلة من الإنتصارات شهد بها الانكليز أنفسهم للذين تولوا ادارتها .

ولما استولى الجيش العربى وجيوش الحلفاء على سورية وتولى المغفور له الملك فيصل ادارة سورية الداخلية عين الفقيد حاكما لمنطقة عمان التى كانت الحالة مضطربة فيها. ثم نقل الى حلب فعين حاكما عليها ونقل بعد ذلك الى البلاط فى دمشق بعد أن نودى بالأمير فيصل ملكا على سورية فعين كبيراً لمرافقى جلالته وبقى فى هذا المنصب الى أن وقعت معركة ميسلون فترك سورية مع المرحوم الملك فيصل إلى فلسطين، ثم برحها معه الى اوربا، ولكنه لما وصل الى بور سعيد او عز اليه بان يعود الى العراق حيث كانت الثورة قد اقنعت الانكليز بوجوب تأليف حكومة وطنية. فاشترك رحمه الله فى هذه الحكومة التى كان يرأسها السيد عبد الرحمن النقيب وتولى وزارة الدفاع فيها.

وكانت هذه الحكومة أول حكومة وطنية قامت فى بغداد وقد أشرفت على الاستفتاء الذى أسفر عن انتخاب المغفور له الملك فيصل ملكا على العراق.

وفى سنة ١٩٢٤ تولى الفقيد رئاسة الوزارة العراقية التى وضعت الدستور العراقى وعقدت أول معاهدة بين العراق وانكلترة حلت محل الانتداب.

وقد قضت هذه المعاهدة بانشاء مفوضية للعراق فى لندن. فكان رحمه الله أول وزير مفوض لها فى انكلترة، وأقام فى هذا المنصب بضع سنوات درس فى خلالها الحقوق، ونال اجازة المحاماة أمام المحاكم البريطانية.

ثم عاد الى بغداد فتولى رئاسة الوزارة فيها ووجه كل اهتمامه إلى التخلص من القيود التى فرضتها معاهدة سنة ١٩٢٤ على العراق.

وقد سافر لهذا الغرض مع الملك فيصل الى لندن حيث دارت مفاوضات طويلة لم تسفر عن نتيجة لتمسكه بمبدأ الاستقلال التام ، فقطع المفاوضات وعاد الى بغداد ، ولكنه تلقى وهو فى الطريق برقية من المرحوم الملك فيصل يدعوه فيها إلى العودة فى الحال . ولما وصل بور سعيد وجد مع البرقية الكتاب التالى من المرحوم الملك فيصل .

وهو بعد المقدمة :

« سامحنا يا جعفر للأتعاب التى كبدناك إياها ، ولكن التعب فى مصلحة الوطن لاشك فى أنه راحة لديك وليست هذه أول مرة ترجع فيها من الطريق لمصلحة وطنك إذ لا بد أنك تذكر رجوعك من بور سعيد فى طريقك معى الى أوربا قبل سبعة أعوام [١] نرجو من ذلك خيراً للجميع .

« أحب أن أخبرك مفصلا عما تم بعد سفرك : يوم الاثنين أى ثانى يوم مبارحتك لندن ، تعلم أننا كنا مدعوين لتناول طعام الغداء

---

(١) اشار الملك فيصل رحمه الله بهذه العبارة الى حادثة جرت فى سنة ١٩٢٠ فقد كان مسافراً الى اوروبا بعد معركة ميسلون ودخول الفرنسويين دمشق وبصحبته كثيرون من رجاله وفى مقدمتهم المرحوم جعفر باشا فلما وصل الى بور سعيد كان موقف الانكليز فى العراق قد تبدل على أثر الثورة فأبرق السير برسى كوكس المندوب السامي الى الملك فيصل يرجو منه ارسال جعفر باشا الى بغداد لتولى تنظيم السياسة الجديدة على أساس الاستقلال فسافر الفقيد حينئذ من بور سعيد الى العراق لهذا الغرض .

على مائدة السير أوستن تشنبرلن . وقد جلست على المائدة بينه وبين شرشل . فى بادىء الأمر كانت المباحثات عامة خارجة عن صددنا وما يهمنا مباشرة . ولكن فى آخر الغداء بدأنا نتكلم عن جمعية الأمم وعن آماله فيها وعما يتوقع أن تعمله هذه الجمعية بالمستقبل وقد استهل الحديث بقوله : انى اذا نظرت الى المستقبل والى المسائل التى يجب أن تحل بواسطة جمعية الأمم والمشاكل التى سنجابهها ، فان اليأس يعتريني .

« ولكن اذا نظرت الى الماضى والى المراحل التى قطعناها وقطعتها جمعية الامم فى سبيل خير الانسانية والمسائل التى حلت وانتهت على يدها فانى أتغلب حينئذ على اليأس وأتأكد من النجاح فى حل المعضلات . وانى أرى أن وضعية جمعية الأمم كوضعيتكم فى العراق . فجمعية الامم لها من العمر ست سنوات أو سبع وأنتم فى العراق لكم هذا العمر ، فاذا نظرتم الى المستقبل فان الأمر يعظم عليكم . ولكنكم إذا نظرتم الى الماضى فلا شك فى أنكم تعترفون ويعترف العالم معكم بأنكم قطعتم مراحل طويلة لا يستهان بها . فالواجب على أمثالكم أن لا تتراخوا ولا يعتريكم اليأس . وأحب أن أخبرك فى هذه المناسبة أنى مستاء جداً من قطع المباحثات وعودتك على هذه الصورة . فشكرت له عباراته المشجعة وأجبته : انى أشعر بأثر ربما يكون أشد مما تشعر به أنت حيث أن لهذه المسئلة علاقة بى شخصياً ولكن أظن أنى لم أكن السبب وانى كنت على استعداد لمواصلة المباحثات . غير أنى فهمت أن الحكومة البريطانية ستلح علىّ بوجوب قبول جميع الاقتراحات فيما يتعلق بالمواد الثلاث الباقية فهل أهم مشكلة لدينا هى كلمة (التام) ويتعذر علينا وضعها فى الوقت

الحاضر ، وعلى كل أحب أن ننظر فى الامر ثانية . قلت اننى حاضر للمباحثة . أجابنى أنه يرغب فيها فى الحال وانه بعد الطعام سيتكلم مع زميله وزير المستعمرات . رأيت أن هذه الفرصة ثمينة . وأنت تعلم أنه قبل مبارحتك لندن كنا جميعاً راغبين فى استئناف المباحثات ولكن فهمنا من السير هنرى ضمناً أن لا امكان لذلك .

« بعد الغداء أراد شنبرلن أن يتكلم مع أورمسبى غور ولكنه لم يجده لأنه كان ذاهباً لشغل شاغل له . وعلى أثر ذلك جمع السير صموئيل ولسون وشكبرة ودوبس وتكلم معهم ثم رجع الىّ وقال انه أعطاهم التعليمات اللازمة . وفى أثناء ذلك كان شرشل ينصت الى المحادثة بكل اهتمام . وقد طلب الى أن أزوره حسب الوعد لتناول الشاى عنده . فذهبت فى الساعة ٥ر٤ من ذلك اليوم وجرت مباحثة فى ديوانه رأيت منه رغبة شديدة وولاء عظيما فى جميع بياناته . فقال : انه عار علينا جميعاً أن ترجع بدون نتيجة ، أقل ما يكون هو أن نضحك أعداءنا علينا . أنا واثق بأنك اذا رجعت على هذه الحالة فان الدماء ستسيل . أرجو أن لا ترجع إلا بعد عقد المعاهدة . ان العرب ينتظرون منك الصبر وطول البال . فأجبته بأن هذا أحب شيء لدى وانى كنت عازماً على عدم الرجوع ولكن بعض العوامل أجبرتنى على ذلك . فقال : أرجو أن لا تصرّ على كلمة (التـام) وأن تقبل باستئناف المباحثات . فقلت : ان صداقتك الشخصية وما أرى فيك من الاخلاص يجعلانى أنزل على رغبتك . اننى سأترك كلمة التام بشرط أن تقبل حكومة صاحب الجلالة بوجهة نظرى فى المواد الاخرى . فأجاب انه سيساعد على ذلك ويبذل جهده .

« وبعد ذلك ذهبنا الى داره وتناولنا الشاى مع امرأته وبنته وقد قال لى قبل خروجى من عنده انه يرغب فى الحال فى أن يخبر زملاءه بقبولى استئناف المباحثات . قلت أن جعفر باشا سافر أمس . فقال الامر سهل . جعفر العسكرى عسكرى ويمكن أن يرجع فوراً ويمكن أن نعمل الترتيب اللازم لذلك . فضحكنا . وودعته شاكراً ورجعت الى الفندق .

« وفى الساعة السابعة من اليوم نفسه أتانى السر هنرى وأخبرنى أن المستر شرشل استدعاه بعد خروجى وأخبره بوجوب المباشرة فى المباحثات وبأنى صرفت النظر عن كلمة (التام) . قلت نعم ولكن بشرط أن تقبل نظريتى فى سائر المواد . قال انه يرغب فى أن تبدأ المباحثات غداً غير أنه يرى من الواجب عليه أن يقابل أورمسبى غور . وقررنا البدء بالمباحثات يوم الأربعاء وأرسل برقية مستعجلة الى قنصل بريطانيا فى مرسليا ليرجعك فوراً من الباخرة . ولكن مع الأسف وأظن ذلك بسبب تقصير من القنصل أيضاً ، أخبرنا القنصل بأن البرقية وصلت بعد سفر الباخرة فأسفنا لذلك .

« وفى يوم الثلاثاء أخبرت بأنهم ينتظروننى فى وزارة المستعمرات صباح اليوم التالى لأجل المباحثة وان أورمسبى غور سيحضر بنفسه وبما أنى عالم بوجهة نظرك لم أر أن أؤجل المباحثة الى ما بعد عودتك اقتصاداً فى الوقت ولذلك ذهبت فى اليوم التالى وكان أورمسبى غور ودوبس وشكبرة وهول ، وبعد ثلاث جلسات اتفقنا على الشكل الذى تراه .

« لا شك ياجعفر أن هذا النجاح ما كنا نتصوره وأن الله معين

لنا ، نعم اننا كنا نرغب فى أن نأخذ أكثر من هذا ولكن ما العمل فقد جاهدنا حتى النهاية ولم يبق أمامنا إلا أن نقاتل . الحمد لله عدّلنا المعاهدة تعديلا ما كان أحد يتصوره منذ شهر نيسان وذلك بجهودنا والأمة مع الأسف جاهلة بدلا من أن تساعدنا كانت من حيث لا تعلم تحاربنا وكانت بذلك عوناً علينا . لقد ثبتنا هذا الثبات كله ورجعنا وان كنا لم نأت بالاستقلال التام الناجز فقد أتينا بتعديل شريف بقدر الامكان ، وليس علينا ملامة بعد أن بذلنا كل ما فى استطاعتنا . وبناء عليه أنتظر منك أن توقع على المعاهدة وترجع فوراً على بركة الله وتوفيقه .

« انى اعتقد أن تصميمنا بهذه الصورة وعودتك خففا من غلوائهم ولولا ذلك لما تنازلوا عن شيء . إنى أشكرك شكراً زائداً باسمى وباسم الوطن لأنك لم تقصر فى القيام بواجبك وفى تحمل المسئولية وقت الشدّة . والآن وقد رجعت فقد انتهى توسطى وعاد الصلح إلى مجراه . حبذا لو كان رجالنا يشتغلون كذلك . أما الاتفاقيات فلا لزوم للبحث فيها . تقرر أن تترك المباحثة فيها لبغداد . رأيتهم جميعاً مسرورين من هذه النتيجة ورأيتهم يشكرونك كثيراً . وبعضهم يخشى أن لا توقع عليها . أمس أتانى أورمسبى غور الى الفندق وقال لى انك مسافر ولكنى أخشى أن لا يرضى جعفر بما اتفقنا عليه ولا يقبل به . فقلت له لولا ثقتى بان جعفر يسير معى ولا يقطع ساقتى ولا يتخلى عنى حتى الموت لكنت أشاركك فى ظنك ، ولكن ثقتى بجعفر تجعلنى أكون على اطمئنان تام . نعم ان المعاهدة لم تأت حسب ما كنا ننتظر ، ولكن جعفر لا يخالفنى كونوا واثقين .

Hamad Khalifa

« لذلك يمكنك (أن تعمل بعض الدلال) ولكن لا تكثر منه ولا ترى نفسك مشمئزا ولا متهافتاً . اتخذ بين ذلك سبيلا وسطاً والعارف لا يعرف والله ولى التوفيق » فيصل

وقد عاد الفقيد الى لندن على أثر هذا الكتاب والبرقيات التى تلقاها فى بور سعيد من لندن رأساً ومنها بواسطة مارسيليا ، فوقع المعاهدة للأسباب الواردة فى كتاب الملك فيصل اليه ، ولكنه رأى أن يقدم استقالته بعد عودته الى بغداد . فعين حينئذ وزيراً مفوضا فى لندن وظل فى هذا المنصب الى سنة ١٩٣٠ ثم دعى الى بغداد فتولى وزارة الدفاع فى وزارة نورى باشا السعيد ، واشترك فى وضع المعاهدة التى نظمت العلاقات بين العراق وانكلترة على أساس التحالف والاستقلال التام ، وهى المعاهدة المعمول بها اليوم

وفى سنة ١٩٣٣ استقالت وزارة نورى باشا السعيد بعد دخول العراق فى عصبة الأمم ، فعاد الفقيد الى لندن حيث عين وزيراً مفوضاً للمرة الثالثة ، وقد بقى فى هذا المنصب الى أن ألف على جودة بك وزارته فدعى الى بغداد وعين عضواً فى مجلس الأعيان ثم تولى وزارة الدفاع سنة ١٩٣٥ فى وزارة ياسين باشا الهاشمى ولما استعفت هذه الوزارة على أثر الفتنة العسكرية المعروفة عهد جلالة الملك غازى الى الفقيد فى مهمة لدى الجيش الذى كان زاحفا الى بغداد فقتل اغتيالا قبل أن يتمكن من القيام بهذه المهمة فى جوار أراضى المشيرية على مسافة عشرين كيلو متراً الى الشمال الغربى من بغداد .

وكان الفقيد قد شرع فى وضع مذكراته عن الحركة العربية التى رافقها منذ ظهورها وكان من أكبر العاملين فيها وهذه المذكرات هى

خير ما كتب فى هذا الموضوع ولكنها لم تنجز لسوء الحظ وسيطبع ما نجز منها ـ وهو يعادل ثلثيها ـ بالعربية والانكليزية فى أقرب آن .

ويرجع الى الفقيد الفضل الأكبر فى تأسيس المعاهد العسكرية فى العراق وإنشاء الجيش العراقى وإيجاد اصطلاحات عربية له وترجمة جميع الكتب العسكرية الفنية الى اللغة العربية .

وقد أنشأ فى بغداد مسجداً ومدرستين أوليتين احداهما للذكور والثانية للاناث ، وأنشأ مدرسة أخرى فى قرية العسكرى ، وذلك كان على نفقته الخاصة ، وكان محباً للخير شديد العطف على الفقراء عف القلب واليد واللسان . رحمه الله رحمة واسعة وعزى العراق والأمة العربية عن فقده ؟

أسعد داغر

حياة جعفر باشا العسكرى

كما يصفها عزيز على باشا المصرى

لما علم أحد محررى جريدة (المصرى) اليومية بعلاقة قديمة بين عزيز على باشا المصرى وجعفر باشا العسكرى ، زاره وتلقى منه البيانات الآتية عن جعفر باشا ونشأته وحزب العهد وكيفية تأسيسه ، فآثرنا نقل ذلك عن جريدة (المصرى) الصادرة فى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٦ ليقف الذين يعنون بهذا الموضوع على ما رواه عزيز على باشا من هذه الحوادث التاريخية . قال :

تخرج المرحوم جعفر باشا العسكرى فى مدرسة استانبول الحربية وأرسل للتمرين مع غيره من الضباط — كما جرت العادة فى الجيش العثمانى — الى ألمانيا ، حيث عمل فى إحدى وحدات المشاة فى الجيش الألمانى . وقد عرفنى به ياسين باشا الهاشمى بعد عودتى الى تركيا من حرب طرابلس ، فوجدت فيه ضابطا عسكرياً شهماً شجاعا ذا شخصية قوية محبوبة جذابة .

وحدث فى ذلك العهد أن تطورت الأفكار فى تركيا ، وظهرت بوادر الانقسام بين الضباط العسكريين ، حيث اصطبغت الحركة العثمانية التى كانت تتزعمها جمعية الاتحاد والترقى والتى كنتُ من أعضائها بصبغة منغولية محضة وامتعض الضباط العرب والأرناؤوط والأكراد وغيرهم من العنصر التركى الخالص لتغيير التقاليد الجوهرية

العثمانية . وترتب على هذا الامتعاض أن ألف الضباط العرب من بينهم جمعية منفصلة عن الضباط الأتراك ، وكذلك فعل غيرهم من الأكراد والأرناؤوط .

وتحدث معى أحد ضباط العرب الممتازين فى الجيش العثمانى وهو سليم بك الجزائرى (وقد شنقه القائد جمال باشا أثناء الحرب العظمى) فيما سيترتب على انقسام الضباط العثمانيين من أمور خطيرة وطلب منى أن أجد حلا لتوجيه هذه الحركة الى اتجاه شريف .

فأسست جمعية العهد التى كان الغرض منها اعطاء حكم ذاتى للعناصر العثمانية ، وتكوين امبراطورية من مقاطعات متحدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو ألمانيا فى ذلك العهد ، على أن يكون الحكم الأعلى فى عائلة آل عثمان .

وأمليت ذات ليلة على طه الهاشمى قوانين جمعية العهد ، وأوضحت أغراض الجمعية فى المادتين الأوليين منها ، فجاء فى المادة الأولى ما معناه : ان الأتراك دافعوا عن الشرق منذ ٦٠٠ سنة ولا زالوا يدافعون عنه فى المخافر الأمامية ضد الغرب حتى الآن . وجاء فى المادة الثانية ما معناه : ان واجب العرب هو أن يتجهزوا لمدّ هذه المخافر الأمامية .

وكان جعفر العسكرى من بين الضباط العرب الذين انضموا الى جمعية العهد ، وحلفوا اليمين أمامى على تنفيذ أغراضها ، والعمل بقوانينها . وكان — كما ذكرت — شهما صريحا ، ومع ذلك كان قديراً على إخفاء ما يرى أن المصلحة أو حسن السياسة توجب إخفاءه ، فكان بذلك سياسياً بطبيعته ، بل ربما كان سياسيا أكثر منه عسكريا فنيا ، كما كان وطنياً عراقيا أكثر منه وطنيا عربيا ، إذ كان من رأيه

تفوق العراق والنهوض بها أولا .

ومما امتاز به جعفر باشا أيضا استعداده الكبير لتعلم اللغات الأجنبية فقد كان يجيد الالمانية والفرنسية والتركية والعربية والكردية والانكليزية ، والاخيرة تعلمها بعد الحرب العظمى .

وكان خفيف الروح الى درجة جذابة ، ولعل اعتماده على قوة شخصيته المحبوبة من الجميع هو الذى حمله على أن يذهب الى مقابلة الجيش الزاحف على بغداد بقيادة بكر صدقى باشا حيث لاقى حتفه هناك .

وقد استخدم الفقيد نفوذه ومحبة الجميع له فى التوفيق بين اخوانه والتآلف بين الأحزاب السياسية ، فأفاد العراق بسياسته هذه (سياسة التوفيق) إفادة كبيرة .

ولما وقعت الحرب العالمية اختاره القائد التركى الكبير أنور باشا ليسافر مع أخيه نورى وبعض الضباط العثمانيين الى طرابلس لاثارة القبائل العربية على الانكليز . وكان جعفر باشا فى ذلك الحين برتبة اليوزباشى ، ولكن أنور باشا منحه هو وأخاه نورى وبعض الضباط لقب باشا لتقوية نفوذهم بين القبائل .

وكان السنوسى الكبير يميل الى الاتفاق مع الانكليز ، ولهذا رأى جعفر باشا أن يضعه أمام الأمر الواقع فاتفق مع أحد ضباط السنوسى من العرب أن يهاجم برجاله مخافر الانكليز على حدود مصر الغربية ، دون أن يدرى الزعيم السنوسى شيئاً عن هذا ، وقد انتقم السنوسى فيما بعد من هذا الضابط وقتله فى كمين ، ولكن جعفر باشا

وزميله نورى باشا كانا قد وفقا الى ادخال السنوسى فى الحرب ضد بريطانيا رغماً منه .

وقد تجلت فى هذه الحركة جسارة جعفر باشا ومقدرته العسكرية وكان هو العامل المحرك فى جيش السنوسى ، الى أن جرح أثناء هجومه على المخافر الانكليزية على حدود مصر الغربية ووقع أسيراً فى قبضة الانكليز .

وأودع جعفر باشا بالقلعة فى القاهرة مع غيره من الأسرى ، وفكر فى الهرب واستعان على ذلك بحبل صنعه من ملابسه وأغطية فراشه ، وتدلى فى الليل من احدى النوافذ ، ولكن الحبل قطع به فسقط على الأرض ، وا كتشف أمره وهو يهمّ بالفرار فقبض عليه وأعيد إلى أسره . ولما سئل عن سبب محاولته الفرار أجاب لسوء معاملته ، ومن ثم أحسن الانكليز معاملته بعد ذلك .

وكان الأتراك فى ذلك الوقت يشنقون شباب العرب الأذكياء والمتعلمين بفكرة هدم الحركة العربية بالقضاء على شبانها الأذكياء ، فاستثار عملهم هذا جعفر باشا وأثر عليه اخوانه الذين اشتركوا فى الحركة العربية فى الحجاز فانضم اليهم وحارب ضد الجيش العثمانى مع فيصل والحلفاء ، ودخل مع الجيشين الانكليزى والعربى فى سوريا عند انتهاء الحرب العالمية ، ثم ذهب الى العراق بعد أن نودى بالمغفور له الملك فيصل ملكا عليها .

وكانت سياسة جعفر باشا كسياسة باقى اخوانه ، وهى كسب صداقة الانكليز لكى يطمئنوا الى نيات العراق الحسنة نحوهم ، فيمنحوا العراق اكثر ما يمكن من الاستقلال .

مالا يعرفه الأكثرون

من سيرة المرحوم جعفر باشا العسكرى

بقلم الأستاذ أمين سعيد

قرأت معظم ما كتبه الكاتبون وتحدث به المتحدثون فى خلال الأسبوع الأخير عن سيرة المرحوم المغفور له بطل العروبة وفقيد المبدأ والمروءة جعفر باشا العسكرى فرأيت أن هناك معلومات كثيرة لا تزال مجهولة لم يمتد اليها قلم ولم يتناولها باحث ولا أميط عنها لثام .

كيف قدم الى القطر المصرى ؟

لم يفد جعفر باشا الى القطر المصرى مع نورى باشا شقيق أنور باشا كما جاء فى بعض الروايات ولا وصل مع غواصة ألمانية وانما جاء قبل قدوم الغواصات بكثير . فانه ما كادت الحرب العظمى تعلن فى شهر أغسطس سنة ١٩١٤ ويصح عزم الترك على دخولها فى جانب الألمان ويتفقون معهم على غزو مصر حتى انتدب أنور باشا جعفر بك العسكرى للسفر الى هذا القطر بمهمة سرية هى إيصال كتب خاصة كتبها الى بعض أصدقائه من كبراء المصريين وزعماء القبائل الذين عرفهم مدة اشتغاله فى حرب بنى غازى دعاهم فيها الى إعداد المعدات للانتقاض على الانكليز وبشرهم بقرب وصول حملة ولدرس الحالة العسكرية عن كثب .

ومثل الباشا دوره بمهارة واتقان فتزيا بزى درويش من أرباب الطرق وترك لحية طويلة ، وبهذا الزى جاب القطر المصرى من شماله الى جنوبه فاجتمع الى كثير من الزعماء والرؤساء وسلمهم الكتب والرسائل التى حملها وسمع أقوالهم . ولما انتهت مهمته فى مصر ودرس الحالة العسكرية درساً وافياً قصد السلوم ونزل فى المسيعيد حيث كان معسكر السنوسيين فاتصل بشيخهم المرحوم السيد احمد فقربه وأكرمه ووثق به وعينه قائداً لحرسه الخاص .

ووصل بعد ذلك نورى بك شقيق أنور باشا معيناً قائداً عاما ووصل معه الكونت بانسمان الألمانى منتدباً من جانب الحكومة الألمانية لاثارة الاضطرابات فى افريقية الشمالية ولتدبير حملة على حدود مصر الغربية فانضم اليهما « البكباشى جعفر بك العسكرى » وعمل معهما .

وكلمة الذين اجتمعوا فى المسيعيد تلك الأيام متفقة على أن السيد أحمد السنوسى كان بين تيارين متناقضين فما كان يريد الهجوم على حدود مصر الغربية خوف الفشل والاخفاق لقلة القوى الموجودة عنده ولأنه ليس من مصلحة قومه أن يحاربوا الانكليز والطليان فى وقت واحد ، فضلاً عن أن اقفال حدود مصر الغربية فى وجوههم يرميهم بمجاعة كما أنه من الجهة الأخرى ما كان يريد أن يرد القادمين اليه ويقطع ما بينه وبين الترك من صلات قديمة خصوصا بعد انضمام الألمان اليهم وكانوا يمنونه الأمانى المعسولة ويكثرون من إرسال الأسلحة والأموال والعتاد فكانت الغواصات الألمانية تنقلها بكثرة الى السلوم فى تلك الأيام .

واستعان نورى بك والكونت بانسمان بالمرحوم جعفر باشا وكان السيد أحمد يثق به ويعتمد عليه كما قلنا لأنه عربى وكان محبوباً من الجميع ومتصلا بالجميع ، فاتصل هو بشاب من شبان السنوسيين اسمه احمد المختار فذهب على رأس قوة صغيرة هاجمت المخفر المصرى فى سيدى برانى ، والقصد من ذلك توريط السنوسيين فى حرب الانكليز . ولما عرف ذلك السيد احمد أرسل قوة لتأتى بأحمد المختار بطل تلك الحادثة حياً أو ميتا وقد قتل فعلا .

وأسرع الكولونيل سسل سنو بك محافظ الصحراء الغربية بالسفر الى مرسى مطروح عقب هذا الهجوم فى باخرة كانت تنتظره مع رجاله وما كانوا يزيدون على الخمسين فلحق به رجال السيد احمد لاعادته فلم يصلوا الى الساحل إلا بعد سفر الباخرة .

الحملة على السنوسية

وأرسل الانكليز على الفور حملة عسكرية الى مرسى مطروح لقتال السنوسيين فدارت بينهما ست معارك آخرها معركة «العقاقير» وتقع على ١٥ ميلا شرقى سيدى برانى ففيها أسر الانكليز جعفربك العسكرى يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ ونقلوه الى القاهرة .

فى المعتقل

وزاره فى المعتقل بعد وصوله الى العاصمة فريق من الضباط العرب وفى جملتهم صنوه وزميله السيد نورى السعيد وكان لا يزال برتبة يوزباشى وطلبوا اليه أن ينضم اليهم فى تأييد الحركة العربية . وكانت المعدات تعد لاعلان الثورة العربية طى الكتمان ولم تكن قد أعلنت

فأسمعهم كلاما قارساً ونعتهم بالخيانة وقال لهم انه لاينضم الى أعداء دولته ولن يقاتلها فوصفوا له أعمال الترك فى بلادهم وما ارتكبوه من جرائم وفظائع مع سادات العرب وذكروا له أسماء الذين شنقوهم وقتلوهم فقال انها دعايات كاذبة تبث لأغراض خاصة .

وبعد أيام حملوا اليه كتاب الايضاحات السياسية الذى أصدره جمال باشا عن قضايا الديوان العرفى ، فلما قرأه واطلع على أسماء الشهداء وبينهم صديقه المرحوم سليم بك الجزائرى بكى وقال لهم : الآن طاب الموت أيها الاخوان . هلموا لنقاتل هؤلاء وسأكون فى المقدمة .

متى انضم الى الجيش العربى ؟

وسافر المرحوم بعد ذلك الى الحجاز وكانت الثورة قد أعلنت واتسع نطاقها وكان جيش الشمال قد وصل الى الوجه فانضم اليه فى الوجه (مارس ١٩١٧) وعين على أثر وصوله قائداً للقوات النظامية فى هذا الجيش وعين نورى السعيد رئيس أركان حرب له واشترك فى معظم الحروب التى دارت فى هذا الميدان بين الترك والعرب وكانت له القيادة العليا للجيوش النظامية ونال رتبة لواء من الملك حسين ولقب باشا ثم رقى الى رتبة فريق بعد ذلك .

ولما جلا الترك عن البلقاء (امارة شرق الأردن اليوم) عين حاكما عسكرياً عليها فكان أول حاكم عربى يتولاها فى العهد الجديد .

* * *

قضى المرحوم جعفر باشا مدة غير قليلة حاكما عسكريا لمقاطعة

شرق الاردن فوطد الأمن وأقام النظام ثم نقل حاكما عسكرياً لمدينة حلب . ولما أعلنت الملكية فى سورية سنة ١٩٢٠ عين مرافقاً عسكريا (كبير ياوران) لجلالة الملك فيصل . ورافقه فى خروجه من سورية فى شهر يوليو سنة ١٩٢٠ حينما قضت الظروف السياسية بأن يخرج ولم يسافر معه الى أوروبا فى رحلته تلك بل اتجه الى العراق للشروع بالعمل السياسى الجديد وكانت الأنظار قد اتجهت صوب بغداد لاقامة عرش بدلا من عرش دمشق وكانت الثورة العراقية فى ابان شدتها .

وأقالت الحكومة البريطانية فى تلك الاثناء السر ارنولد ولسن حاكم العراق السياسى واستبدلته بالسر پرسى كوكس فوصل هذا الى بغداد لينفذ سياسة جديدة ، وكان المرحوم جعفر باشا قد سبقه الى بغداد ليشترك معه فى هذه السياسة . وفى يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٠ أى بعد خروج الملك فيصل من دمشق بثلاثة أشهر فقط تألفت فى بغداد أول وزارة عربية برئاسة المرحوم السيد عبد الرحمن الكيلانى نقيب بغداد وتولى جعفر باشا وزارة الدفاع فيها فكان أول وزير عراقى يقلد هذا المنصب فى بلاد الرافدين ، وكانت المهمة الأولى التى ألقيت على عاتقه انشاء جيش عراقى وطنى كما كانت مهمة الوزارة الجديدة التمهيد لانشاء دولة عربية فى بغداد برئاسة المرحوم الملك فيصل وكان ينزل لندن فى تلك الايام .

وغادر جعفر باشا بغداد يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢١ الى القاهرة مع السر پرسى كوكس وساسون حسقيل وزير المالية والمس بيل لمقابلة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية القادم فى زيارة الى الشرق، فاجتمعوا طويلا فى هذا البلد الأمين . وفى هذه الاجتماعات

تم الاتفاق نهائياً على انشاء الدولة العراقية الجديدة بين الحكومة العراقية التى كان يمثلها جعفر باشا وبين الحكومة البريطانية التى كان يمثلها المستر تشرشل .

واستقالت الوزارة النقيبية الاولى على أثر تتويج جلالة الملك ثم أعيد تأليفها يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢١ فاحتفظ فيها بوزارة الدفاع ثم عدلت للمرة الثالثة يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٢ فاحتفظ بالوزارة نفسها . ثم غادرها عند تأليف وزارة عبد المحسن السعدون الاولى يوم ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ فسافر الى لوزان ليمثل العراق فى المؤتمر الذى عقد لحل المشكلة الشرقية (مؤتمر الصلح بين تركيا والعراق) فمثل دولته أصدق تمثيل . ولما انتهى المؤتمر سافر الى لندن ممثلا للدولة العراقية الجديدة فكان أول ممثل لبلاده فى بلاط سان جيمس .

واتصل جعفر باشا بالانكليز فى بلادهم عن كثب ، فأحبهم واحبوه . ومما لايعرفه الكثيرون أنه انتظم فى سلك طلاب جامعة كمبريدج ونال شهادة العلوم القانونية .

ودعى للرجوع الى بغداد فعاد اليها فى خريف سنة ١٩٢٣ ولم يكد يستقر به المقام حتى عهد اليه جلالة الملك يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٣ بتأليف الوزارة فألفها . وأول ماشرعت به انها دعت الجمعية التأسيسية للانعقاد وكانت انتخاباتها قد تمت لتعرض عليها مشروع معاهدة التحالف والصداقة المعقودة بين العراق وانكلترا وهى أول معاهدة وقد وقع عليها يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ .

وفى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٢٣ افتتحت الجمعية الوطنية باحتفال

كبير وشرعت فى نظر المعاهدة ودرسها وكان الجو السياسى فى بغداد مضطرباً وكان خصوم المعاهدة وأعداؤها قد أعدوا المعدات لحمل الجمعية الوطنية على رفضها ، وبعد أخذ ورد طويلين وكر وفر بين أنصار المعاهدة وفى مقدمتهم جعفر العسكرى وخصومها وفى مقدمتهم ياسين الهاشمى وافق المجلس باتفاق ٤٣ صوتاً من ٦٩ على قرار هذا نصه « رغم ثقل المعاهدة والاتفاقيات المتفرعة عليها فان المجلس يثق بشرف بريطانيا ونبالة الشعب البريطانى الشريف فى أنهما لا يرضيان أن يثقلا كاهل العراق ويمسا برغائب شعبه . ولذلك فالمجلس يوصى جلالة الملك فيصل بتصديق المعاهدة وابرامها » ولقد كان موقف الحزم والشدة الذى وقفه جعفر باشا وصنوه نورى باشا فى تلك الجلسة أكبر عامل فى فوز دعاة المعاهدة .

واستقال جعفر باشا من الوزارة بعد ما أنجز مهمته فخلفه فيها ياسين باشا الهاشمى ثم عاد ثانية الى لندن ليمثل بلاده فى بلاط سان جيمس ثم عاد الى بغداد فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ بدعوة جلالة الملك وألف الوزارة العسكرية الثانية وفى عهد هذه الوزارة دارت مفاوضات بينه وبين الانكليز فى لندن لعقد معاهدة جديدة تحل محل المعاهدة الأولى ، ومع أنه وقع على المعاهدة فى شهر دسمبر سنة ١٩٢٧ إلا أنه استقال احتجاجا عليها وعاد ثانية إلى لندن ليقلد منصبه القديم وكان محفوظاً له وقد ظل فيه حتى السنة الماضية فدعى الى بغداد ثانية .

ولما ألفت الوزارة الهاشمية فى شهر مارس سنة ١٩٣٥ عين لوزارة الدفاع وهى الوزارة التى أحبها طويلا وقضى سنين فيها .

وبعد فهذا ما وعته الذاكرة من أخبار الفقيد الكريم وسيرته الحافلة . وقد رأيت أنه لم يخلد الى الراحة والسكون منذ انشاء الدولة العراقية الجديدة ، بل وقف نفسه على خدمتها سواء فى لندن أو فى بغداد أو فى جنيف ، لا يفتأ عن السعى لاعلاء شأنها وتعزيز مكانتها بكل ما أوتيه من قوة ، وقد لقى ربه وهو فى خدمتها . فعزاء لآله وذويه وللامة العربية بفقده فقد كان من رجالها العاملين المخلصين

أمين سعيد

الجنرال جعفر باشا العسكرى

رثاؤه بقلم انكليزى عرفه

نشرت مجلة «بريطانيا العظمى والشرق» تأبيناً بليغاً للمرحوم جعفر باشا العسكرى بقلم محررها هذه ترجمته :

« ذلك الذى لم يقو البريطانيون ولا الترك فى ميدان القتال فى الحرب العظمى على قتله مات الآن ومات مقتولا بأيد عربية . وربما كان الجنرال جعفر باشا العسكرى يتوقع ميتة كهذه . ويقول البعض انه كان يتوقعها ولكن أصدقاءه من جميع الأجناس والأعمار فى العراق وانكلترا على السواء ما كانوا ليصدقوا امكان وقوع ما وقع .

ان رجلا فى مثل طبيعته المرحة وسجاياه العظيمة و « مزيجه » المدهش لم يكن من المعقول أن يقع ضحية لرصاصة مغتال أثيم . ومع ذلك فهذا هو الذى كان حتى ان قبر جعفر العسكرى مجهول وحتى مرقد جثته الهامدة لا يعرفه أحد . ولكن اذا كانت مسألة مصيره النهائى قد أزعجت أصدقاءه وأقلقتهم فانها ما كانت تزعج جعفرا نفسه فمع انه لم يكن متمسكا بالعقائد القديمة فقد كان على كل حال من المستسلمين للقضاء والقدر .

ان جيشا لجبا من الذكريات ـ ذكريات لندن وبغداد ـ ازدحم فى ذهن المرء عند ورود النبأ المحزن المشؤوم . جعفر روح مجتمعات الرجال وحياتها . جعفر المتدفق القريحة باللطائف والنكات قديمة

وحديثة . جعفر الطائر غير هياب فى طائرة حربية مكشوفة من دون أن يتمنطق حول جسمه الضخم بمظلة النجاة . جعفر الذى كنت بينما ترى المرح متجسما فيه لا تلبث أن تراه جبلا من الكآبة . جعفر حول مائدة البليار دو . جعفر فى جهوده لانقاص وزنه متدحرجا فى رياضته ماشيا . على صهوة جواده فى البرارى . قافزا كالغزال على سلالم المنزل الذى كان يسكنه الأمير زيد فى لندن محييا أميره المحارب تحية ديموقراطية بهجة . جعفر متحدثاً فى جد ولعب عن السياسة محافظا على صوم رمضان فى فندق مود ببغداد . جعفر الرجل الذى جاز امتحان الحقوق فى لندن ووالد الفتى الذى جاز بالأمس امتحانات كنجز كولدج فى كمبردج .

أسد بين الرجال كان هذا الرجل المختلف عن أى شرقى آخر لقيته فى حياتى . انى أذكر ابتسامته البريئة الشبيهة بابتسامة الطفل اذا ما هنأته بفوز وثورته الكبيرة فى صباح يوم خالد الذكر عند ما استسلم لعواطفه مستنكراً انتحار عبد المحسن السعدون ، ثم عودته الى ما عرف عنه من رقة وأدب بعد مرور العاصفة . أذكر تفاخره بالأرز العراقى والكميات الكبيرة التى كان يأكلها منه مع الدجاج واللحم قبل أن يبدأ بالعمل على إنقاص وزنه . أذكر ملابسه وقلة اكتراثه بها وأذكر فى الحقيقة أكثر كثيراً مما أستطيع ايراده هنا .

* * *

أما عن قصته المدهشة فى خدمته العامة وفضائله كجندى وكوزير فقد كتب عنها الشىء الكثير ففى صفحات كتب لورانس وفى

الألوف المؤلفـة من الصحف قد روى كل ذلك فلا حاجة بى الى تكرار شيء عنه لقراء هـذه المجلة ، ولـكن ما من شخص قابل جعفر يستطيع أن ينساه وفى صدر كل منهم وذهنه صفة من صفاته الـكثيرة يذكره بها على الدوام . إذاً لن نرى رجلا مثله مرة أخرى .

وقد كان جعفر دائما ينوى أن يضع قصة حياته مزينة بصور من مجموعته الفوتوغرافية التى لانهاية لها وأعتقـد أنه منذ زمن قليل أتمها باللغة العربية فهذه يجب أن تنشر فى لغة بلاده وفى لغة البلاد التى أحبها كثيراً ـ انكلترا ـ ولا ريب أنها متى نشرت تترجم الى لغات كثيرة .

جعفر باشا

الرجل العسكرى الدبلوماسى

ـ عن التيمس اللندنية الصادرة ـ يوم ٢ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٣٦

كان للجنرال جعفر باشا العسكرى وزير الدفاع العراقى الذى قُتل فى الانقلاب الأخير مسلك لا نظير له فى الحرب العظمى ، إذ كان فى بدء الأمر يحارب الانكليز ثم صار يقاتل معهم . وكان قد شغل مرتين منصب وزير مفوض للحكومة العراقية فى لندن كما أنه شغل منصب وزير الدفاع فى الحكومة العراقية خمس مرات . وكان ذكياً شفوقا وجندياً قديراً واداريا حازماً وسياسيا يقظاً ، وفوق ذلك كان لطيف المعشر ورفيقاً أنيسا مما جعله صديقا للكثير من أبناء هذه البلاد .

والباشا بغدادى الأصل ولد فى سنة ١٨٨٥ وتلقى تحصيله فى المدرسة الحربية التركية فى الاستانة . وأثناء الحرب العظمى التى كان قد منح فيها وسام الصليب الحديدى الالمانى اختاره الداماد أنور باشا للقيام بمهمة خطيرة الشأن تنطوى على بذل الجهود فى سبيل استثارة السنوسى فى ليبيا ضد الانكليز بقصد احراج موقفهم فى الجهة الغربية من مصر . (ولم يكن السنوسى فى ذلك الوقت خاضعاً لسلطة إيطاليا بل كان متمتعا باستقلاله فى حكم ولاية ليبيا ـ الاستقلال الذى حصل عليه بنتيجة حرب سنة ١٩١٢) . وكان جعفر باشا قد جاء الى ساحل

ليبيا على غواصة ألمانية بعد أن عرض نفسه للاخطار ، فأفلح فى اقناع السنوسى بالاذعان لمشروعه والاعتراف بقيادته ، وبذلك تمكن لمدة ما ان يشهر حربا صحراوية ضد الانكليز فتمت له الغلبة الى أن وقع أسيراً بيد فرقة (الدورست يومانرى) أثناء وقعة (أكاجيا) يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ .

وأسكن كاسير حرب فى قلعة القاهرة إلاّ أنه د بّـر وسيلة لتحرير نفسه من الاسر وذلك باستعماله حبلا صنعه من بطانيات ربطها بعضها ببعض وكان على قاب قوسين أو أدنى من النجاح فى تدبيره هذا لولا مقاومة الاقدار له ، إذ كان ثقل الباشا قد أدى الى قطع الحبل فأصيب فى سقوطه برض بليغ فى احدى ساقيه فتعذر عليه تنفيذ الخطة التى رسمها للهروب من اسره . ومع ذلك فكان قد وّطد صلات طيبه مع آسريه وانه أصر على دفع ثمن البطانية الممزقة . وحالما شفى من اصابته اطلق سراحه بعد ان وعد بان يراعى الميثاق الذى قبله لنفسه والذى ينطوى على وجوب البقاء فى مقر الاسر . وما كاد يعلن نبأ الثورة العربية على حكم الاتراك حتى التحق بجيوش الملك حسين فى الحجاز فاشترك مع الامير فيصل ولورنس فى قيادة الجيش الحجازى النظامى الذى قام بالحملة العسكرية حتى سقوط دمشق بيد العرب .

وكان الجنرال اللنبى وهو فى مركزه الواقع فى بير سالم فى فلسطين قد منح الباشا وساماً فى وسط حلقة مؤلفة من الرجال المنتمين الى فرقة (الدورست يومانرى) التى كانت قد أسرته . وكان لاختيار هذه الحلقة التى قامت بمقام (حرس شرف) فى الاحتفال وقع جميل فى

نفس الباشا لما عرف به من خفة روح وميل للدعابة فاصر فى هذه المناسبة على أن يحمل وسام الصليب الحديدى الالمانى فكان له ما أراد

ثم عيّن الباشا حاكماً فى حلب بعد سقوطها . ولمّا توّج الامير فيصل ملكا على العراق شغل منصب وزير دفاع فى الوزارتين اللتين ترأسهما نقيب بغداد بين شهر أغسطس ١٩٢١ و نوفمبر ١٩٢٢ وعيّن بعد ذلك وزيراً مفوضاً لحكومته فى بلاط (سنت جيمس) وبهذه الصفة حضر مؤتمر الصلح فى لوزان حيث ترك انطباعات فائقة فى نفوس الساسة وغيرهم المجتمعين هناك .

وفى شهر نوفمبر ١٩٢٣ استدعاه جلالة الملك فيصل من بغداد لاسناد منصب رئاسة الوزارة اليه واستمر فى هذا المنصب حتى شهر أغسطس ١٩٢٤ ثم رجع ثانية الى مفوضيته فى لندن ، وعاد فشغل منصب رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بين شهر نوفمبر ١٩٢٦ ويناير ١٩٢٨ وفى طريقه عند رجوعه الى لندن فى شهر مارس من نفس السنة لاستئناف أعماله الدبلوماسية هناك كان على وشك الوقوع فى أيدى الوهابيين أثناء تأخر طيارته فى الرمادى ، وعند رجوع الباشا الى لندن دخل المعهد القانونى البريطانى المسمى كرى اين ونال شهادة الحقوق فى ١٥ يناير ١٩٣٠ . وحضر فى شهر فبراير حفلة عشاء خاصة أقامها اللورد اللنبى لاعادة ذكرى فرقة (الدورست يومانرى) التى كانت موضع اعجابه الشديد . وفى شهر مارس ١٩٣٠ استدعى مرة أخرى إلى العراق ليشغل منصب وزير الدفاع فبقى فى هذا المنصب حتى شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢

وذلك فى عهد وزارتى الجنرال نورى باشا السعيد الذى كان جعفر باشا قد اقترن بشقيقته . ثم رجع جعفر فتقلد رئاسة المفوضية العراقية فى لندن حيث بقى من نوفمبر ١٩٣٢ الى ديسمبر ١٩٣٤ وعيّن بعد ذلك عيناً فى العراق وفى مارس ١٩٣٥ صار للمرة الخامسة وزيراً للدفاع وذلك فى عهد الوزارة التى سقطت أخيراً .

كلمة جريدة ألمانية

كتبت جريدة (هاكنكر رويزبانرمانهايم) الألمانية فى عددها الصادر يوم ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٦ ما ياتى :

ان جعفر العسكرى الملازم المتخرج من كارلسروه (فى ألمانيا) اصبح فيما بعد اليد اليمنى لفيصل ، ومن أعظم الشخصيات فى الشرق العربى ، وبقى سنين طويلة سفيراً لبلاده فى لندن ، الى أن رجع الى العراق ليتولى منصب وزير الدفاع .

كان السفير العراقى صديقاً لانكلترا ، ولكنه فى الوقت نفسه لم ينس رغبته فى تفقد أصدقائه السابقين فى ألمانيا . فقد كتب بنفسه رسائل الى ضباط الفوج بلهجة ألمانية صحيحة يقول فيها :

« ان روابط الزمالة لا تقبل الانفصال »

وكان يتمنى أن يرى أولئك الزملاء الأقدمين فى القريب العاجل فى ألمانيا ... الخ

جعفر باشا العسكرى

رجل خدم القضية العربية منذ نعومة أظفاره

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

- عن جريدة (البلاغ) المصرية الصادرة فى يوم أول نوفمبر ١٩٣٦ -

جعفر باشا عراقى صميم ، تعلم أول ما تعلم فى مدرسة بغداد الحربية ثم انتقل منها الى المدرسة الحربية فى الاستانة أو اسطنبول كما تسمى الآن رسمياً وخرج منها فذهب الى ألمانيا لاتمام تحصيله العسكرى ثم عاد الى الجيش وقد اشترك فى تكوين جمعية العهد مع عزيز باشا المصرى ويس باشا الهاشمى ونورى باشا السعيد وهى جمعية كان غرضها خدمة القضية العربية وقامت الحرب الطرابلسية فاشترك فيها ، وأبلى فيها أحسن البلاء كما يعلم كل من خاضها واصطلى بنارها . ولما قامت الحرب الكبرى أسره الانجليز ولكنه فرّ من المعسكر . وكان جمال باشا قد أوسع العرب فى سوريا تقتيلا وشنقاً فاتصل جعفر باشا بالأمير فيصل وصار قائد الجيش العربى الثائر ودخل به سوريا وتقلد بعض المناصب فى الحكومة السورية ، ولما خرج الملك فيصل من سوريا بعد دخول الفرنسيين رحل معه جعفر باشا الى أوروبا وعاد معه أيضاً إلى العراق ، وألف أكثر من وزارة واحدة واشترك أخيراً فى الوزارة الهاشمية وزيراً للدفاع . حتى قتل يوم الخميس الماضى

وكان جعفر باشا ممتاز الشجاعة صريحاً رضى النفس كريم الخيم

دمث الطبع حلو الفكاهة أنيس المجلس طيب النفس . وما اتصل به أحد الا أحبه وأكبره ـ أحبه لخصاله الجميلة ونفسه الوديعة وقلبه السليم وظرفه وحلاوة لسانه ، وأكبره لشهامته وشجاعته وصراحته ورجولته ، وقد عادى الانجليز قبل الثورة العربية فأكبروه ثم صار حليفهم فأكبروه .

وليس هذا تاريخا لجعفر باشا ولكن هذه نبذة وجيزة يتبين منها أن الرجل الذى عاش للعرب وللعراق وقضى حياته محاربا فى سبيل القضية العربية يعادى فى سبيلها ويصادق فى سبيلها هو الذى تقتله رصاصة ضابط يغلبه حماس عارض فيذهب دمه هدراً وكأنه ما خدم ولا أخلص ولا شقى ولا سعد ولا استهدف للموت ألف مرة من أجل هؤلاء الذين قتله واحد منهم . ومصاير الناس قسم وأرزاق كحظوظهم فى الحياة ، ولا عتب على القدر ولكن المرء لا يسعه إلا الأسف والا أن يشعر بشىء من المرارة .

Hamad Khalifa

Hamad Khalifa

خطاب

من سماحة السيد أمين الحسينى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة الصديق المعظم نورى باشا السعيد حفظه الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد دهشنا للمفاجئة المؤسفة التى انتابت العراق فى مثل هذه الآونة وأودت بحياة ذلك البطل الكبير المرحوم جعفر باشا الذى كان له من الجهود فى سبيل القضية العربية منذ البداية حتى النهاية ما يخلد ذكراه.

ان هذه الحادثة أحزنتنا وآلمتنا كثيراً ولم نكن نتوقعها، ولا تزال من الألغاز المبهمة علينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وانى أشاطر فخامتكم الأسى والأسف وأقدم أخلص التعزية لفقد ذلك البطل الكبير الذى تشعر جميع الأقطار العربية بفداحة المصيبة فى فقده. رحمه الله وطيب ثراه.

وثقوا يا فخامة الأخ الكريم أنى وكل عربى مخلص فى هذه البلاد يكاد يمضنا الأسف والألم لما وقع فى العراق، وان الجميع يقدرون فضلكم العظيم فى خدمة العراق خاصة والبلاد العربية عامة ويشكرون جهودكم المبرورة فى ذلك السبيل بتلك الحصافة والنبوغ.

وإنى لكبير الرجاء بأن هذه السحابة لا تلبث أن تنقشع من سماء العراق وتزول دهشة المفاجأة فتنجلى الأمور وتعود المياه الى مجاريها وتستقر الحالة ، فيرجع الى البلاد أبطالها الذين أخلصوا فى خدمتها ورفعوا شأنها وأعلوا اسمها ، وفخامتكم فى مقدمتهم .

وفى الختام فانى أدعو فخامتكم والعائلة الكريمة لأن تشرفوا فلسطين وبذلك نتمكن من القيام بخدمتكم والحظوة بلقائكم وأطال الله بقاءكم ؟

محمد أمين الحسينى

هذه نبذة موجزة من تاريخ الفريق جعفر العسكرى نوردها إحياء لذكراه بمناسبة مضى أربعين يوماً على مقتله . وقد كان لنعيه وقع شديد لا فى البلاد العربية وحدها بل فى كثير من البلاد الأجنبية ايضاً فكتبت صحفها مقالات طويلة عنه اجتزأنا بالبعض منها بما وصل الينا الآن راجين أن نوفق الى جمعها كلها فى كتاب واحد فى المستقبل القريب .